الوعي والخلود الرقمي في ضوء عقيدة البعث والنشور: (دراسة نقدية)

Consciousness and Digital Immortality
in Light of the Doctrine of Resurrection and Reassembly:
A Critical Study

الباحث
م.م. علاء كاظم حميد جابر
Researcher: M.M. Alaa Kadhim Hamid Jaber
الجامعة العراقية / شؤون الأقسام الداخلية
Al - Iraqi University / Department of Student Housing Affairs
alaa.k.hamid@aliraqia.edu.iq

Abstract:

The discourse on «digital immortality» represents one of the most salient manifestations of contemporary techno-scientific rhetoric that seeks to redefine the human being and the boundaries of human existence. This is pursued through propositions such as the transfer of consciousness or its uploading onto non-biological substrates, promoted as a means of transcending death. Within this context, artificial intelligence emerges as the most prominent instrument in shaping this promise—not merely as an auxiliary technology, but as an intended epistemic axis poised to become a substitute for, or a rival to, metaphysical conceptions of the unseen.

In contrast, the Islamic doctrine of resurrection and requital (al-baʿth wa al-nushūr) is grounded in the centrality of belief in the Hereafter, affirming that death is a transition rather than annihilation, and that true immortality is intrinsically linked to divine recompense and resurrection, not to technologies of replication and simulation.

Accordingly, this study traces the origins of the concept of digital immortality and elucidates its philosophical foundations, before examining its doctrinal challenges in light of faith in resurrection and the Hereafter. It also surveys the intellectual, spiritual, and ethical repercussions that arise from this concept, culminating in conclusions and recommendations aimed at regulating engagement with technological discourse when it transcends its functional domain to construct a form of «alternative creed.»

Keywords: Consciousness, Digital Immortality, Posthumanism, Mind Uploading, Resurrection and the Afterlife.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الملخص

يُعَدُّ الحديث عن (الخلود الرقمي) من أبرز تمظهرات الخطاب التقني المعاصر الذي يسعى إلى إعادة تعريف الإنسان وحدوده، عبر أطروحات نقل الوعي، أو تحميله على دعائم غير بيولوجية، بما يُسوَّق له بوصفه تجاوزًا للموت. ويأتي الذكاء الاصطناعي هنا بوصفه الأداة الأكثر حضورًا في صناعة هذا الوعد، لا مجرد تقنية مساعدة، بل باعتباره (محورًا معرفيًا) يُراد له أن يتحول إلى بديلٍ عن تصورات الغيب، أو منافسٍ لها. وفي المقابل، تقوم عقيدة البعث والنشور في الإسلام على مركزية الإيمان بالآخرة، وكون الموت انتقالًا لا فناءً، وأن الخلود الحقيقي مرتبط بالجزاء والبعث لا بتقنيات النسخ والمحاكاة.

وتحاول هذه الدراسة تتبّع أصول فكرة الخلود الرقمي، وبيان مرتكزاتها الفلسفية، ثم مناقشة إشكالاتها العقدية في ضوء الإيمان بالبعث والنشور، مع رصد ما ينشأ عنها من آثار فكرية وروحية وقيمية، وصولًا إلى نتائج وتوصيات تضبط التعامل مع خطاب التقنية حين يتجاوز وظيفته إلى بناء (عقيدة بديلة).

الكلمات المفتاحية: الوعي، الخلود الرقمي، ما بعد الإنسانية، نقل العقل، البعث والنشور.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي خلق الموت والحياة ليبلوَنا أيُّنا أحسن عملًا، وجعل الإيمان باليوم الآخر أصلًا عظيمًا من أصول الاعتقاد، تُوزن به الأعمال وتستقيم به الحياة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: تشهد البشرية تسارعًا تقنيًا غير مسبوق، تمدد فيه الذكاء الاصطناعي إلى ميادين كانت تُعد سابقًا من خصوصيات العقل والوعي والمعنى، حتى غدا موضوع (الوعي) نفسه مطروحًا داخل المختبرات والنماذج الحسابية. ومع هذا التمدد ظهرت أطروحات تتجاوز تحسين حياة الإنسان إلى إعادة صياغة تعريفه، عبر مشاريع دمج الإنسان بالآلة، أو تخزين الذاكرة والهوية، أو ما يُسوَّق له باسم (نقل الوعي)؛ تمهيدًا لفكرة الخلود الرقمي.

وإذا كان الإسلام لا يعارض العلم النافع ولا التداوي ولا تطوير وسائل الحياة، فإن الإشكال يبدأ عندما تتحول التقنية إلى خطاب (خلاصي) يعد بإلغاء الموت، أو استبدال مفاهيم الآخرة والبعث بمفاهيم النسخ والمحاكاة والاستمرارية الرقمية، فهنا لا يكون الحديث عن علمٍ محض، بل عن تصورٍ كونيٍّ جديد يحاول إعادة بناء معنى الإنسان ومصيره خارج إطار الوحي.

ومن هنا وُلدت فكرة هذا البحث: تفكيك دعوى الخلود الرقمي، ووزنها عقديًا وفكريًا في ضوء عقيدة البعث والنشور، لأن هذه العقيدة ليست تفصيلًا هامشيًا، بل هي قلب البناء الإيماني الذي يفسّر الموت والحياة والغاية والجزاء.

أهمية البحث وأسباب اختياره

١ - اتساع الخطاب العالمي حول (ما بعد الإنسانية) وتقديم الخلود الرقمي بوصفه أفقًا قريبًا، ما يستدعي دراسة نقدية تضبط المفاهيم وتكشف الخلفيات.

٢ - ارتباط الخلود الرقمي مباشرة بأصل عقدي كبير هو الإيمان بالبعث والنشور، وما يترتب عليه من تصور الإنسان لنهايته ومصيره ومسؤوليته.

٣ - ندرة الدراسات العربية التي تُقارب الخلود الرقمي مقاربة عقدية منهجية تربط بين التقنية وبين الإيمان بالآخرة وآثاره في حفظ المعنى والكرامة والمسؤولية.

٤ - فتح المجال لتأصيل التعامل مع منجزات التقنية: قبول النافع وردّ ما يتضمن منافسةً لمقامات الربوبية أو تحويرًا لمعنى الخلود والجزاء.

مشكلة البحث

تتجسد المشكلة في انتقال الذكاء الاصطناعي من كونه أدوات تحليل وتشغيل إلى كونه (وعاءً تصوريًا) يُبنى عليه وعدٌ بإلغاء الموت عبر نسخ الوعي، وتقديم هذا النسخ بوصفه بقاءً حقيقيًا للإنسان. فإلى أي مدى تمثل دعوى الخلود الرقمي تعارضًا مع عقيدة البعث والنشور؟ وما حدود كونها (تقنية) مقابل كونها (عقيدة بديلة) تعيد تعريف الإنسان والآخرة والمعنى؟

أهداف البحث

١ - التأصيل العلمي لمصطلحات الوعي والخلود الرقمي، وفك الاشتباك الدلالي بين قدرة التقنية على (تخزين البيانات ومحاكاتها) وبين حقيقة (الوعي الإنساني).

٢ - الكشف عن الأبعاد الفلسفية العميقة لخطابات (ما بعد الإنسانية)، وتحليل مساراتها التي أدت إلى تحويل التقنية من أداة مساعدة إلى مشروع أيديولوجي بديل.

٣ - تقديم دراسة نقدية مقارنة تُبرز تهافت وعود الخلود التقني أمام التفسير الإسلامي الراسخ للموت، وإثبات مركزية عقيدة البعث والنشور كضامن حقيقي للخلود.

٤ - استشراف المخاطر والآثار المترتبة على شيوع وهم «الخلود الرقمي»، وبناء محددات قيمية وشرعية تضبط تعاطي المسلم مع وعود التقنية المستقبلية.

أسئلة البحث

١ - ما الماهية الدقيقة لمفاهيم (الوعي) و(الخلود الرقمي) في الخطاب التقني المعاصر، وما حدود التقاطع والفصل بين المحاكاة التقنية والوجود الإنساني الحقيقي؟

٢ - ما المرتكزات الفلسفية والجذور الفكرية التي استندت إليها حركة (ما بعد الإنسانية) في الترويج لأطروحة تجاوز الموت تقنياً؟

٣ - كيف يمكن نقد وتقييم ادعاءات الخلود الرقمي وتفكيكها في ضوء محكمات عقيدة البعث والنشور في التصور الإسلامي؟

٤ - ما المآلات العقدية، والفكرية، والمعنوية التي قد تفرزها محاولة إحلال (التقنية) محل (الغيب) في مسألة الخلود الإنساني؟

منهج البحث

اتبعتُ المنهج الاستقرائي التحليلي في جمع المادة المتعلقة بمفهوم الخلود الرقمي وخطاب ما بعد الإنسانية، وتحليل مضامينه ومقدماته. كما استعنتُ بالمنهج النقدي العقدي في وزن النتائج والمقولات بميزان الإيمان بالبعث والنشور، وبالمنهج الوصفي عند عرض المفاهيم والاتجاهات.

الدراسات السابقة

توجد كتابات كثيرة حول الذكاء الاصطناعي وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية، كما توجد كتابات حول ما بعد الإنسانية والخلود الرقمي في سياق فلسفي وتقني، غير أن الجمع المنهجي بين الخلود الرقمي وبين عقيدة البعث والنشور ضمن إطار عقدي عربي ما يزال محدودًا، وهو ما تحاول هذه الدراسة الإسهام فيه.

خطة البحث

يتكون البحث من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، ثم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المطلب الأول: تعريف الوعي ونشأته

المطلب الثاني: تعريف الخلود

المطلب الثالث: تعريف البعث والنشور وأدلته الشرعية

المبحث الثاني: الخلود الرقمي ونقده في ضوء عقيدة البعث والنشور

المطلب الأول: التطور التاريخي لفكرة الخلود التقني (من الخلود البيولوجي إلى الخلود الرقمي).

المطلب الثاني: الحركات والنزعات المؤسسة لفكرة الخلود الرقمي (من مشروع تقني إلى رؤية كونية بديلة).

المطلب الثالث: الآثار العقدية والفكرية للخلود الرقمي في ضوء عقيدة البعث والنشور.
الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المطلب الأوّل: تعريف الوعي ونشأته

تمهيد: لا يمكن مناقشة (الخلود الرقمي) من منظور عقدي قبل تحرير ألفاظه، لأن كثيرًا من الالتباس ناشئ عن خلطٍ بين: (التخزين) و(المحاكاة) و(الهوية) و(الوجود الحقيقي). كما أن لفظ (الوعي) نفسه يُستعمل استعمالات متعدّدة: تارةً بمعنى الإدراك والشعور، وتارةً بمعنى الذاكرة، وتارةً بمعنى (الشخص) بوصفه هوية أخلاقية ومسؤولية. ومن هنا كان هذا المطلب لبيان أهم المفاهيم التي سيدور عليها البحث.

أولًا: الوعي لغةً:

«(وَعَى) الشيءَ يَعِيهِ وَعْيًا: حفظه وفهمه، ومنه (أَوْعَى) أي جمع وأحاط، ويقال: (وعى الكلام) إذا أدرك معناه على وجهٍ يثبت في النفس». (١)

وهذا الاستعمال اللغوي يُفيد أمرين: (الإحاطة) و(الثبات)، (٢) وهو مهم لأن دعاوى (تحميل الوعي) غالبًا تنقل الوعي من كونه إدراكًا حيًّا متجددًا إلى كونه «مخزون معلوماتي» يمكن نسخه وحفظه.(٣)

ثانيًا: الوعي اصطلاحًا:

يستعمل الباحثون مصطلح (الوعي) للدلالة على (الخبرة الشعورية) التي يحسّ بها الإنسان من الداخل، أي إدراكه لذاته وللعالم وما يطرأ عليه من أحوال. وقد يعبّر عنه أيضًا بكونه (حضورًا) للمعنى في النفس، لا مجرد امتلاك بيانات. (٤)

---

(١) - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (و ع ي)، دار صادر، بيروت، ج١٥، ص٤٠١–٤٠٢؛ ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مادة (وعي)، ج٦، ص١٣٠.

(٢) - لسان العرب، مادة (و ع ي)، ج١٥، ص٤٠٢.

(٣) - أنظر: سيرل، جون، ترجمة فؤاد زكريا، العقل والوعي الناشر: عالم المعرفة، ص ١١٢.

(٤) - أنظر: موسوعة ستانفورد للفلسفة (Stanford Encyclopedia of Philosophy)، مادة (Consciousness).

وعلى هذا فالفارق جوهري بين:

١ - وعيٍ بوصفه خبرة شعورية حية[١].

٢ - وعيٍ بوصفه معلومات عن النفس (سيرة، ذكريات، ميول).[٢]

والخلط بينهما هو بوابة التسويق لفكرة أن (نسخة البيانات = الشخص).[٣]

المطلب الثاني: تعريف الخلود ونشأته

أولًا: الخلود لغةً:

«الخُلْد يدل على المكث والبقاء وطول الأمد، ويقال: (خلد إلى الشيء) أي مال إليه واستقر، و(أخلد) إذا ركن». [٤]

ثانيًا: الخلود اصطلاحًا (في الدلالة العقدية العامة):

الخلود الحقيقي في التصور الديني ليس مجرد امتداد الزمن الحيوي، بل هو بقاءٌ مرتبط بحقيقة الإنسان ومصيره وجزائه، [٥] ويُبنى على الإيمان بالآخرة. ومن هنا كان (الخلود) جزءًا من منظومة (الموت، البرزخ، البعث، الحساب)، لا مجرد (مشكلة طبية) تُحلّ. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ ۝ لَعَلّي أَعمَلُ صالِحًا فيما تَرَكتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلىٰ يَومِ يُبعَثونَ﴾[٦] وقال سبحانه: ﴿أَيَحسَبُ الإِنسانُ أَلَّن نَجمَعَ عِظامَهُ ۝

(١) - أنظر: جون سيرل، العقل والوعي، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ص ١١٢–١١٥؛ توماس نيجل، «ما الذي يعنيه أن تكون خفاشًا؟»، ضمن العقل والمادة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص ١٨٩–١٩٣.

(٢) - أنظر: هيوبرت دريفوس، ما لا تستطيع الحواسيب فعله، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص ٩٧–١٠١.

(٣) - أنظر: روجر بنروز، عقل جديد للإمبراطور، ترجمة محمد عبد الحليم، عالم المعرفة، ص ٥٨–٦٣؛ جون سيرل، العقل والوعي، ترجمة فؤاد زكريا، ص ١١٨.

(٤) - لسان العرب، ابن منظور، مادة (خلد)؛ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (خلد).

(٥) - الفخر الرازي، التفسير الكبير، تفسير قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ج ٣، ص ٥٠٩، حيث يفرق بين الخلود الطبيعي والخلود الأخروي المرتبط بالجزاء؛ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب كشف القلب وبيان المعاد، ج ٤، ص ٤٥٥–٤٥٦، حيث يربط الخلود بحقيقة النفس الإنسانية ومآلها بعد الموت، لا بمجرد استمرار الحياة؛ ابن القيم الجوزية، الروح، ص ١٧١–١٧٣، كذلك يقرر أن الخلود هو بقاء وجودي شعوري بعد الموت، متعلق بالنعيم أو العذاب.

(٦) - المؤمنون، الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

بَلىٰ قادِرينَ عَلىٰ أَن نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾(١).(٢)

ثالثًا: الخلود الرقمي (تعريفًا):

المراد به: السعي إلى استمرار (الشخص) بعد الموت البيولوجي عبر وسيط رقمي، إمّا بنسخ البيانات الذهنية، أو بمحاكاة البنية العصبية للدماغ، أو بصناعة نموذج برمجي يتصرّف كما يتصرف صاحبه، بحيث يُقدَّم هذا الاستمرار بوصفه (بقاءً) أو (عودة). (٣)

وفي هذا السياق تبرز فكرة (استنساخ العقل) أو (تحميل الوعي)، وهي في الأدبيات التقنية تُسمّى غالبًا: (Whole Brain Emulation) أو (Uploading / Downloading). ويُعرِّفها بعض الباحثين بأنها: أخذ دماغ بعينه، ومسح بنيته بتفصيل، ثم بناء نموذج برمجي شديد الوفاء للأصل بحيث ينتج سلوكًا مماثلًا عند تشغيله على عتاد مناسب. (٤)

وهنا تتولد الإشكالات: هل (السلوك المماثل) يساوي (الشخص نفسه)؟ وهل النسخة الرقمية تملك (الذات) أم تملك (وصفًا عنها)؟ وهل تكفي المطابقة الخارجية لإثبات الهوية؟(٥)

المطلب الثالث: البعث والنشور وأدلته الشرعية

أولًا: البعث لغةً:

«البعث في أصل اللغة يدل على الإثارة والإرسال والإيقاظ، ومنه بعث الله الخلق أي أحياهم وأقامهم من موتهم». (٦)

---

(١) - القيامة، الآيات ٣ - ٤.

(٢) - تُبيّن هذه الآيات أن مصير الإنسان لا يُختزل في الحياة البيولوجية، بل ينتظم ضمن مسار وجودي مترابط يبدأ بالموت، يليه البرزخ، ثم البعث، وينتهي بالحساب والجزاء. فعند حضور الموت ينقطع زمن العمل، ويطلب الإنسان الرجوع لا لتمديد العمر، بل لتدارك المصير، غير أن هذا الطلب يُقابل بالردع القاطع، دلالةً على الانتقال إلى نشأة أخرى لا مجال فيها لتعويض ما فُوّت. كما أن الفناء الجسدي ليس نهاية الإنسان، وأن الإعادة ليست إحياءً بيولوجيًا محضًا، بل إرجاعًا كاملًا للهوية الإنسانية استعدادًا للحساب. ومن ثمّ، فالخلود في التصور القرآني مآلٌ أخرويّ مرتبط بالإيمان والعمل، لا مسألةً طبية أو تقنية تُعالج بإطالة العمر أو صيانة الجسد.

(3) - Whole Brain Emulation: A Roadmap، Anders Sandberg & Nick Bostrom، (p7).

(4) - Ray Kurzweil, The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology, Viking Press, 2005,pp. 198–203.

(5) - John R. Searle, The Rediscovery of the Mind, MIT Press, 1992,pp. 67–72.

(٦) - مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (بعث)؛ لسان العرب، ابن منظور، مادة (بعث).

ثانيًا: النشور لغةً:

النشور يدل على الانتشار بعد الطي، ومنه نشَر الشيءَ أي بسطه، ونشور الخلق: خروجهم للحساب.(١)

ثالثًا: البعث والنشور اصطلاحًا:

هو إحياء الله تعالى للناس بعد الموت وإخراجهم من القبور للحساب والجزاء، وهو أصل من أصول الإيمان باليوم الآخر، دلّ عليه القرآن دلالةً قطعية، وأقام عليه الحجج العقلية والكونية، وردّ استبعاد المنكرين.(٢)

ونستنتج مما يمتاز به مفهوم البعث والنشور في التصور الإسلامي: ١ - أنه فعلٌ إلهيٌّ مرتبط بالقدرة المطلقة لا بالتقنيات. ٢ - أنه يعيد الإنسان (للحساب) لا لمجرد الاستمرار. ٣ - أنه يحفظ معنى العدالة والجزاء، لأن الحياة الدنيا ليست خاتمة القصة. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣) أي سيرى نتيجة أعماله في دار الآخرة.(٤)

المبحث الثاني: الخلود الرقمي ونقده في ضوء عقيدة البعث والنشور

تمهيد: إذا كان الموت حقيقةً ملازمةً للإنسان من حيث هو كائنٌ واعٍ محدود الوجود، فإن محاولة تجاوزه أو الالتفاف عليه ليست وليدة العصر الرقمي، بل رافقت التجربة الإنسانية منذ تشكّل الوعي الديني والفلسفي، حيث سعت المجتمعات إلى بناء أطرٍ رمزية تمنح الوجود الإنساني معنىً يتجاوز الانقطاع البيولوجي، وتُعيد تأويل الفناء ضمن سرديات الاستمرار والخلود (٥)؛ غير أنّ الجديد في السياق المعاصر لا يتمثل في أصل الحلم بالخلود، بل في انتقاله من المجال الأسطوري والميتافيزيقي إلى المجال العلمي–التقني؛ إذ لم يعد يُصاغ في صورة شعرٍ أو أسطورةٍ أو وعدٍ أخروي، بل بات يُقدَّم بوصفه مشروعًا بحثيًا قابلًا للتمويل، وخطةً

(١) - لسان العرب، ابن منظور، مادة (نشر).

(٢) - أنظر: أبو جعفر الطحاوي، العقيدة الطحاوية، مع شرح ابن أبي العز الحنفي، طبعة دار السلام، ص ٤٥٧.

(٣) - الزلزلة، الآيتان ٧ - ٨.

(٤) - أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٥١٩؛ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٣٢.

(5) - Charles Taylor, A Secular Age, Harvard University Press, 2007, pp. 553–558؛ Peter L. Berger, The Sacred Canopy: Elements of a Sociological Theory of Religion, Anchor Books, 1967, pp. 26–31.

مستقبلية مدعومة بالنمذجة الرياضية والخوارزميات، ضمن خطاب يرى في التكنولوجيا أداةً لإعادة تعريف حدود الإنسان ومصيره النهائي .(١)

ويمكن تتبّع هذا المشروع التقني عبر طبقاتٍ متعاقبة تبدأ بمحاولات إطالة العمر البيولوجي وتأخير الشيخوخة، ثم تتطور إلى مشاريع تجميد الجسد بعد الموت بوصفها رهانًا على إمكانية إعادة الإحياء مستقبلًا مع تقدّم الطب، كما صاغها روبرت إتينغر في أطروحته التأسيسية حول) تعليق الموت(انتظارًا للعلم القادم .(٢)

ثم انتقل الخطاب إلى مستوى أكثر جذرية تمثّل في فكرة أرشفة الشخص رقميًا عبر تجميع بياناته السلوكية والنفسية، تمهيدًا للمرحلة الأقصى المتمثلة في محاكاة الدماغ والوعي، حيث يُعاد تعريف الوعي بوصفه نظامًا معلوماتيًا يمكن نسخه وتشغيله على وسيط غير بيولوجي، كما يطرح ذلك راي كورزويل في سياق حديثه عن تجاوز الإنسان لحدوده البيولوجية، ويطوره أندرس ساندبرغ في مشروع (محاكاة الدماغ الكامل)(٣).

ومن خلال هذا التراكم المرحلي، راحت اللغة التقنية تُراكم وعودًا متزايدة، فلم تعد تَعِد فقط بتجاوز المرض والموت الطبيعي، بل انتهى بعضها إلى الإيحاء بإمكانية صناعة بديلٍ وظيفي عن الآخرة، أو على الأقل تحييد الحاجة النفسية والوجودية إلى الإيمان بها، عبر ما يسميه بودريار استبدال الواقع الأصلي بنسخة تمثيلية تحلّ محلّه في الوعي الإنساني؛(٤) غير أنّ هذا التصور يقوم ضمنيًا على اختزال الوعي الإنساني في كونه مخزونًا معلوماتيًا قابلًا للحفظ والاسترجاع، وهو اختزال تعرّض لنقد فلسفي عميق؛ إذ يؤكد جون سيرل أن الوعي يتضمن قصدية وتجربة ذاتية لا يمكن ردّها إلى المعالجة الصورية، بينما يرفض روجر بنروز اختزال العقل في الحساب الخوارزمي، معتبرًا أن في الوعي الإنساني بُعدًا غير قابل للمحاكاة الآلية الخالصة .(٥)

(1) - Yuval Noah Harari, Homo Deus: A Brief History of Tomorrow, Harvill Secker, 2016, pp. 21–27.

(2) - Robert C. W. Ettinger, The Prospect of Immortality, Doubleday, 1964, pp. 1–18.

(3) - Ray Kurzweil, The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology, Viking Press, 2005, pp. 198–217؛ Anders Sandberg, Whole Brain Emulation: A Roadmap, Future of Humanity Institute, University of Oxford, 2008, pp. 7–15.

(4) - Yuval Noah Harari, Homo Deus, Harvill Secker, 2016, pp. 25–27؛ Jean Baudrillard, Simulacra and Simulation, University of Michigan Press, 1994, pp. 1–6.

(5) - John R. Searle, Mind, Language and Society, Basic Books, 1998, pp. 54–71؛ Roger Penrose, The New

وفي مقابل هذا المسار التقني، يعالج الإيمان بالبعث والنشور سؤال الموت من جذره الوجودي، فلا ينشغل بكيفية الهروب منه أو تأجيله، بل بفهمه ضمن سنّة الابتلاء والانتقال والجزاء؛ إذ يقرر القرآن الكريم حتمية الموت واستحالة الرجوع الدنيوي بعد وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾(١)، ثم يؤكد القدرة الإلهية المطلقة على إعادة الخلق بعد التفكك والفناء بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾(٢)، ليُختَم هذا التصور العقدي بتقرير مبدأ الجزاء الفردي الدقيق: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾(٣).

ومن هنا قرر المفسرون والمتكلمون أن الإحياء بعد الموت ليس مشروعًا بشريًا ولا نتيجة تراكمٍ تقني، بل فعلٌ إلهيٌّ محض يتجاوز قوانين العالم المشهود، كما بيّن فخر الدين الرازي في تفسيره لآيات البعث(٤)، وقرره القرطبي في سياق الرد على منكري المعاد(٥)، وأفاض ابن القيم في بيان تمايز الروح عن الجسد وإمكان إعادتها بأمر الله تعالى(٦).

المطلب الأول: التطور التاريخي لفكرة الخلود التقني: من الخلود البيولوجي إلى الخلود الرقمي

أوّلًا: الخلود البيولوجي وإطالة العمر (Longevity)

البداية المعاصرة الأقل إثارة للجدل جاءت من بوابة الطب: مقاومة الشيخوخة، ومحاولة إطالة (العمر الصحي) عبر تحسين التغذية والدواء والجينات.(٧) وهذه المساحة في ذاتها لا تحمل إشكالًا عقديًا إذا بقيت في حدود (التداوي) و(حفظ النفس) وتحسين جودة الحياة، لأن الشرع لا يمنع من تحصيل الأسباب.(٨)

Mind of the Emperor, Oxford University Press, 1989, pp. 400–413.

(١) - سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩–١٠٠.

(٢) - سورة القيامة، الآيتان ٣–٤.

(٣) - سورة الزلزلة، الآيتان ٧–٨.

(٤) - أنظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ج ٢٩، ص ٢٣٣–٢٣٥.

(٥) - أنظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ج ١٨، ص ٢١٥.

(٦) - أنظر: ابن قيم الجوزية، الروح، دار الكتب العلمية، ص ٥٦–٦٣.

(٧) - أوبري دي غراي، نهاية الشيخوخة: الاختراقات العلمية التي قد تعكس مسار التقدّم في السن، ترجمة محمد عبد الرحمن، دار سما، ص ٢٧.

(٨) - توماس دي. ديكسون، العلم والدين: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة حازم نهار، المركز القومي للترجمة، ص ٨٨.

غير أن النزعة تتحول من (علاج) إلى (عقيدة) عندما يُسوَّق لإزالة الموت بوصفه (مشكلة هندسية) لا قدرًا، وأن الإنسان سيبلغ مرحلة لا يموت فيها إلا بالصدفة.(١) وهذه الفكرة شاعت في كتابات (مقاومة الشيخوخة) التي تمزج الطب بالفلسفة الوجودية، وتستعمل لغة (الانتصار على الموت). (٢)

واللافت هنا أن الخطاب يبدّل السؤال: من (لماذا نموت؟) إلى (كيف نمنع الموت؟) ثم إلى (هل يحق للموت أن يوجد أصلًا؟) وهو انتقال نفسي ومعرفي يهيئ للمرحلة التالية: إذا كان الجسد هو المشكلة، فلماذا لا نتجاوز الجسد؟(٣)

ثانيًا: التجميد الحافظ (Cryonics) بوصفه جسرًا بين الجسد والآلة

حين عجز الطب عن جعل الجسد خالدًا، ظهرت فكرة (تأجيل الموت) عبر التجميد الحافظ: تجميد الجسد أو الدماغ بعد الوفاة القانونية على أمل إعادته مستقبلًا حين تتقدم التقنية. وهذه الفكرة صارت في الأدبيات محطةً وسيطة بين الخلود البيولوجي والخلود الرقمي: فهي لا تدّعي الانتصار على الموت الآن، لكنها تقول: لنثبت الإنسان كما هو، ثم نبحث لاحقًا عن طريقة لإرجاعه. (٤)

لكن الإشكال العميق ليس طبيًا فقط، بل مفهومي: هل (تعليق) الجسد يساوي حفظ الإنسان؟ وهل الإنسان هو جسد فحسب حتى تكون المشكلة في (التلف المادي) فقط؟(٥) هذه الأسئلة نفسها ستعود بقوة في الخلود الرقمي، لكن بصورة أكثر حدّة.

ثالثًا: الخلود المعلوماتي وأرشفة «الشخص» بدل إحياء الإنسان

مع اتساع المنصات الرقمية، ظهرت ممارسة مختلفة: حفظ الرسائل والصور والتسجيلات ثم بناء (تمثيل» للشخص على هيئة أرشيف أو نموذج يجيب ويسترجع ذكريات ويتفاعل. هنا

(١) - يوفال نوح هراري، الإنسان الإلهي: تاريخ موجز للغد، ترجمة فراس السواح، دار الساقي، ص ٣٢.

(2) - Ending Aging: The Rejuvenation Breakthroughs That Could Reverse Human Aging in Our Lifetime، Aubrey de Grey & Michael Rae.

(٣) - أنظر: راي كورزويل، التفرّد قريب: عندما يتجاوز الإنسان بيولوجيته، ترجمة أحمد محمود، دار العربي، ص ٢٥٥–٢٥٦.

(4) - The Prospect of Immortality، Robert C. Ettinger.

(٥) - أنظر: روبرت سي. دبليو. إتنغر، آفاق الخلود: التجميد الحافظ وأمل العودة إلى الحياة، ترجمة أحمد حسن، دار سطور، ص ٨٥ - ٨٧.

انتقلت فكرة الخلود من (جسد محفوظ) إلى (بيانات محفوظة).[١]

وهذا التحول قد يبدو بريئًا، لكنه في العمق يصنع التباسًا: هل حفظ آثار الإنسان هو حفظ الإنسان؟ وهل الذاكرة المخزّنة في قاعدة بيانات تعني حضور الذات؟ إن أقصى ما يثبت هنا هو بقاء (الأثر)، بينما الذات الواعية شيء آخر.[٢] ومن الناحية العقدية، الفرق بين (الأثر) و(الذات) أساس في فهم الموت: فالأثر يبقى في الدنيا، أما الإنسان فينتقل إلى البرزخ ثم البعث[٣]، كما قال تعالى: ﴿حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ * لَعَلّي أَعمَلُ صالِحًا فيما تَرَكتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلى يَومِ يُبعَثونَ﴾[٤] .

رابعًا: تحميل الوعي ومحاكاة الدماغ (Whole Brain Emulation)

المرحلة الأكثر طموحًا جاءت مع أطروحات (محاكاة الدماغ كاملًا): مسح البنية العصبية تفصيليًا ثم بناء نموذج برمجي شديد الدقة ينتج سلوكًا يماثل سلوك الشخص. وهذه الكتابات تقدم نفسها بصفتها مشروعًا علميًا محتملًا، لكنه في الوقت نفسه يفتح الباب لسؤال الهوية: إذا صنعنا نموذجًا يطابقني في الذكريات واللغة والانفعالات، هل يكون (أنا)؟ أم يكون (نسخة تشبهني)؟ [٥]

هنا تحديدًا يحدث الانزلاق الأكبر: تحويل (التطابق السلوكي) إلى (تطابق وجودي). وفي لغة بعض المتحمسين يصبح الخلود الرقمي ليس مجرد محاكاة، بل استمرارًا للذات. وهذه الدعوى ليست تقنية فقط، بل فلسفية وعقدية في جوهرها، لأنها تتعلق بماهية الإنسان: هل هو معلومات؟ أم هو نفس وروح وهوية أخلاقية مكلفة؟ [٦]

في ضوء المنظور الإسلامي، تحدد النصوص القرآنية حدود المعرفة بالروح، فتبيّن أن سرّ الوعي الإنساني ليس في المعلومات ولا في المحاكاة، بل في أمرٍ إلهيٍ متجاوزٍ للقياس التقني، كما قال

(١) - لوكا موري، ما بعد الإنسان: الأخلاق والفلسفة في زمن التقنية العالية، ترجمة مصطفى المسعودي، المركز القومي للترجمة، ص ١٤٤.

(٢) - جون سرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، دار الحوار، ص ٦٢.

(٣) - أنظر: ابن قيم الجوزية، الروح، دار الكتب العلمية، ص ٥٩.

(٤) - المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(5) - Whole Brain Emulation: A Roadmap، Anders Sandberg & Nick Bostrom.

(٦) - راجع: راجر بنروز، عقل جديد للإمبراطور: حدود العلم والوعي الإنساني، ترجمة سعيد الغانمي، دار الحوار، ص ٥٨–٦١.

تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

خامسًا: التفرد التكنولوجي وخطاب «الخلاص التقني»

مع أطروحات التفرد التكنولوجي (Singularity) صارت الفكرة تُقدَّم بصورة أكثر شمولًا: سيأتي وقت تتجاوز فيه قدرات الأنظمة الذكية الإنسان، وتصبح التقنية قادرة على إعادة تشكيل الحياة، وربما إعادة تعريف الموت. هذا الخطاب لا يكتفي بوصف المستقبل، بل يصنع (أملًا خلاصيا) يحل محل أمل الآخرة عند بعض الناس، ويحوّل الإيمان من الغيب إلى المختبر. (٢)

وهنا يتضح أن الخلود الرقمي ليس مجرد (تطبيق) بل هو نهاية مسار فكري طويل: بدأ بتحسين الجسد، ثم حفظ الجسد، ثم حفظ الأثر، ثم ادعاء حفظ الذات.(٣) ومع كل خطوة كان يتقلص حضور المعنى الديني للموت بوصفه انتقالًا وابتلاءً، ويتضخم حضور التقنية بوصفها (طريق النجاة).(٤) وهذا هو الموضع الذي سيقودنا في المطلب التالي إلى بيان الحركات والنزعات التي أسست لهذا التصور وروّجت له ضمن سياقات ثقافية وفلسفية مخصوصة.

المطلب الثاني: الحركات والنزعات المؤسسة لفكرة الخلود الرقمي «من مشروع تقني إلى رؤية كونية بديلة»

تمهيد: ليس الخلود الرقمي فكرةً (خرجت وحدها) من داخل المختبر، بل هو ثمرةُ تفاعلٍ بين تطورٍ تقني متسارع، وبين تياراتٍ فكرية وثقافية أعادت تعريف الإنسان ومعنى الجسد وحدود الموت. ومن هنا فإن دراسة (الخلود الرقمي) لا تكتمل بمجرد شرح أدواته، بل لا بد من قراءة بيئته الفكرية التي مهّدت لقبوله، وقدّمته أحيانًا بوصفه خلاصًا نهائيًا، لا مجرد احتمالٍ هندسي مستقبلي. (٥)

(١) - سورة الإسراء: ٨٥.

(2) - The Singularity Is Near، Ray Kurzweil; Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies، Nick Bostrom.

(٣) - أنظر: يوفال نوح هراري، الإنسان الإله: تاريخ موجز للغد، ترجمة فادي جودة، دار الساقي، ص ٣٣–٤١، ٣٤٨–٣٥٦.

(٤) - توماس دي. ديكسون، العلم والدين: تاريخ موجز للصراع والتكامل، ترجمة محمد عبد السلام، دار التنوير، ص ٢٠١.

(5) - A History of Transhumanist Thought, Nick Bostrom, 2005.

وانطلاقًا من هذا المعطى، يتناول هذا المطلب أهم الحركات والنزعات الفكرية التي أسهمت في تأسيس فكرة الخلود الرقمي، ونقلها من مشروع تقني جزئي إلى رؤية كونية بديلة. وذلك عبر خمسة محاور رئيسة:

يبحث المحور الأول في نزعة ما بعد الإنسانية بوصفها إطارًا فلسفيًا عمل على تفكيك مركزية الإنسان وإعادة تعريف ماهيته. ثم ينتقل المحور الثاني إلى العبور-إنسانية باعتبارها مشروعًا عمليًا يتبنى صراحة تجاوز القيود البيولوجية ويمهّد منطقيًا لفكرة الخلود الرقمي. ويُعالج المحور الثالث خطاب التفرد التكنولوجي ودوره في صناعة أفق خلاص تقني ينافس الأفق الغيبي. أما المحور الرابع فيتناول تصور السايبورغ بوصفه أداة لتطبيع الهجنة بين الجسد والآلة وتآكل الحدود بينهما. ويُختتم المطلب بالمحور الخامس حول البياناتية التي تختزل الإنسان إلى تدفقات معلومات، وتوفر الإطار الثقافي الأكثر ملاءمة لتسويق الخلود الرقمي بوصفه استمرارًا للذات.

وبهذا البناء، يمهّد هذا المطلب للانتقال المنهجي في المطلب اللاحق إلى تحليل الآثار العقدية والفكرية لهذه النزعات، وبيان ما تفضي إليه من إعادة تشكيل لمعاني الموت والهوية والمسؤولية والجزاء في ضوء العقيدة الإسلامية.

أوّلًا: ما بعد الإنسانية (Posthumanism) وتفكيك مركزية الإنسان

تقوم النزعة ما بعد الإنسانية على نقد (الإنسانوية الكلاسيكية) التي تجعل الإنسان مركز الكون ومعيار القيمة، وتدعو إلى إعادة التفكير في مفهوم الإنسان في ظل تشابك الكائن البشري مع التقنية والبيئة والأنظمة المعرفية. فهي لا تبدأ من سؤال: كيف نطيل العمر؟ بل من سؤال أعمق: ما الإنسان أصلًا حين تتداخل حدوده مع الآلة والشبكة؟ (١)

وعلى هذا الأساس، يغدو (الوعي) قابلًا لأن يُفهم بوصفه نمطًا معلوماتيًا، وتغدو الهوية مشروعًا قابلًا لإعادة التصميم. وهذه الأرضية الفكرية تخفف رهبة فكرة (تحميل الوعي)، لأنها تنقل الإنسان من كونه ذاتًا متجسدة إلى كونه (تكوينًا معلوماتيًا) يمكن تمثيله وإعادة إنتاجه. (٢)

(1) - The Posthuman, Rosi Braidotti, Polity, 2013.

(2) - How We Became Posthuman: Virtual Bodies in Cybernetics, Literature, and Informatics, N. Katherine Hayles, University of Chicago Press, 1999.

ثانيًا: العبور - إنسانية (Transhumanism) ووعد تجاوز القيود البيولوجية

إذا كانت (ما بعد الإنسانية) تُعنى غالبًا بالنقد الفلسفي للمركزية الإنسانية، فإن (العبور - إنسانية) تتخذ موقفًا براغماتيًا يدعو صراحةً إلى تحسين الإنسان جذريًا بواسطة التقنية، حتى بلوغ مرحلة تتجاوز (البيولوجيا) بوصفها قيدًا. وفي الأدبيات المؤسسة لهذا الاتجاه يبرز الحديث عن رفع القدرات الإدراكية، وإطالة العمر، وتعديل المزاج، ثم الانتقال من التحسين إلى (التجاوز). [١]

وهنا يتشكل (سلّمٌ تصاعدي) واضح:

تحسين الإنسان ← إطالة الحياة ← السيطرة على الشيخوخة ← البحث عن وعاء بديل للهوية ← الخلود الرقمي.[٢]

فالخلود الرقمي ليس قفزةً معزولة، بل نهاية منطقية داخل هذا النسق عندما يصل إلى حدود الجسد.

ثالثًا: التفرد التكنولوجي (Technological Singularity) وصناعة «أفق خلاص»

من أهم المحركات الثقافية لفكرة الخلود الرقمي خطاب (التفرد التكنولوجي)، وهو تصورٌ يستشرف لحظة تاريخية تتجاوز فيها الأنظمة الذكية القدرات البشرية بدرجة تجعل المستقبل بعدها مختلفًا نوعيًا، ويصعب قياسه بمعايير اليوم. وقد أسهمت كتاباتٌ عديدة في ترسيخ هذا الأفق، من التنظير المبكر لفرنور فينجي[٣] إلى الصياغات الشعبية التي قدّمها راي كورزويل[٤]،

(1) - Transhumanism: Towards a Futurist Philosophy, Max More, 1990.; A History of Transhumanist Thought, Nick Bostrom, 2005.

(٢) - أنظر: أوبري دي غراي ومايكل راي، إنهاء الشيخوخة: الاختراقات التي قد تعكس التقدم في السن، ترجمة أحمد حسن، دار سطور، ص ٢٩–٤١.

(٣) - فرنور فينجي (Vernor Vinge): كاتب وعالم حاسوب أمريكي يُعدّ من أوائل من صاغوا مفهوم التفرد التكنولوجي بصيغته المعاصرة. قدّم في مقالته الشهيرة The Technological Singularity (١٩٩٣) تصورًا لمستقبل تبلغ فيه الأنظمة الذكية مستوىً يفوق الذكاء البشري، بما يؤدي إلى قطيعة معرفية وتاريخية تجعل ما بعد هذه اللحظة غير قابل للتنبؤ وفق المعايير البشرية الحالية.

Vernor Vinge, The Technological Singularity, Whole Earth Review, No. 81, 1993, pp. 88.

وانظر الترجمة العربية ضمن: ندوة التفرد التكنولوجي، ترجمة مركز البحوث المستقبلية.

(٤) - راي كورزويل (Ray Kurzweil): مخترع ومفكر أمريكي، يُعدّ أبرز من شعبَن (Popularized) فكرة التفرد التكنولوجي وربطها مباشرةً بمشروع تجاوز البيولوجيا البشرية. يرى كورزويل أن تسارع النمو الأسي للتقنية سيقود إلى اندماج

حيث يُدمج الذكاء الاصطناعي(١)، والواجهات الدماغية، وتقنيات النانو، ضمن سردية واحدة عنوانها: تجاوز الإنسان لبيولوجيته. (٢)

وعلى مستوى الوعي الجمعي، يفعل هذا الخطاب شيئًا بالغ الخطورة من جهة البناء العقدي: إنه ينقل فكرة (الخلاص)(٣) من الغيب إلى التقنية، ويحوّل الرجاء من اليوم الآخر إلى النموذج الحسابي، حتى لو لم يصرّح بذلك صراحة. وهذا ما يجعل التفرد التكنولوجي، في بعض صوره، أقرب إلى (لاهوت علماني)(٤) منه إلى توقعٍ علمي محض.

الإنسان بالآلة، وتحقيق شكل من أشكال البقاء ما بعد الجسد، وهو ما يجعل التفرد عنده أفقًا خلاصيًا تقنيًا لا مجرد فرضية مستقبلية.

Ray Kurzweil, The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology, Viking Press, 2005, pp. 7, 136.

(١) - الذكاء الاصطناعي ليس قطعة واحدة من البرمجيات أو العتاد، بل (كوكبة) من التقنيات التي تمكّن الأنظمة من إنجاز مهام تحتاج عادةً إلى إدراك أو تخطيط أو تعلم أو تواصل شبيه بالفعل البشري. راجع: National Security Commission on Artificial Intelligence (NSCAI)، التقرير النهائي، قسم: Artificial Intelligence in Context.

وتتصل علاقة الذكاء الاصطناعي بالخلود الرقمي من جهتين:

أولًا: جهة النمذجة: أي بناء (سلوك) أو (شخصية) رقمية تتعلم وتتفاعل. راجع: The Guardian، مقابلة راي كورزويل حول الخلود الرقمي وتحميل العقول، ٢٩ / ٦ / ٢٠٢٤م.

ثانيًا: جهة الادّعاء الفلسفي: أي تحويل التقدم التقني إلى وعدٍ وجودي بإلغاء الموت أو تجاوزه، وهو ما يخرج من دائرة (الأداة) إلى دائرة (البديل العقدي) . راجع: WIRED UK، مقتطف من Homo Deus ليوفال نوح هراري حول (الديانات التقنية / البياناتية)، ١ / ٩ / ٢٠١٦م.

(2) - The Coming Technological Singularity, Vernor Vinge, 1993.; The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology, Ray Kurzweil, Viking, 2005.

(٣) - فكرة الخلاص (Salvation): الخلاص، في معناه الديني الكلاسيكي، هو النجاة النهائية من الموت والفساد والمعاناة عبر فعلٍ إلهي مرتبط بالآخرة. غير أن الخطاب التكنولوجي المعاصر يعيد توطين هذا المفهوم داخل التاريخ والتقنية، بحيث تُقدَّم التكنولوجيا بوصفها الوسيط الذي يحقق النجاة من الشيخوخة والموت والعدم، دون حاجة إلى المرجعية الغيبية.

Mircea Eliade, The Myth of the Eternal Return, Princeton University Press, 1954, pp. 141–142.

Thomas Dixon, Science and Religion: A Very Short Introduction, Oxford University Press, 2008, pp. 98–100.

(٤) - لاهوت علماني (Secular Theology): مصطلح يُستخدم لوصف منظومات فكرية تؤدي وظائف دينية (المعنى، الرجاء، الخلاص، المستقبل النهائي) لكنها تفعل ذلك من دون إله ولا وحي، مستبدلة الغيب بالعلم، والقدر بالخوارزمية، والآخرة بالمستقبل التقني. ويُستخدم هذا الوصف لتحليل خطاب التفرد التكنولوجي حين يتحول من توقع علمي إلى سردية خلاصية كلية.

Peter L. Berger, The Sacred Canopy, Anchor Books, 1967, pp. 25.

Yuval Noah Harari, Homo Deus: A Brief History of Tomorrow, Harvill Secker, 2016, pp. 372–373.

رابعًا: السايبورغ (Cyborg) وتفكيك الحد بين الجسد والآلة

من المداخل المؤثرة أيضًا تصور (السايبورغ)، [١] وقد عالجته كتابات فكرية ضمن سياقات نقدية واجتماعية، لكنها أسهمت في ترسيخ فكرة أن الحدود بين الإنسان والآلة ليست مقدسة، بل قابلة للتفاوض. [٢]

وحين تُعتاد فكرة (الهجنة)[٣]، يصبح انتقال الحديث من (أطراف صناعية) إلى (ذاكرة صناعية) ثم إلى (وعي صناعي) انتقالًا أقل صدمة في المخيال العام. وبذلك تتحول (الوصلة) التقنية من علاجٍ لعضوٍ إلى إعادة تعريفٍ لصاحب العضو.[٤]

خامسًا: البياناتية (Dataism) واختزال الإنسان إلى تدفق معلومات

في سياقٍ ثقافي آخر، ظهرت (البياناتية) بوصفها سردية تعتبر الكون تدفقات بيانات، وترى قيمة الكائن بقدر مشاركته في المعالجة والتبادل. وفي هذا المناخ يُعاد تعريف الإنسان على أنه (خوارزمية) أو مجموعة عمليات، ويُعاد تعريف العقل على أنه نمط معالجة. وحين يستقر هذا التصور، يغدو من السهل تسويق (نسخة بيانات) بوصفها استمرارًا للشخص. [٥]

---

(١) - السايبورغ (Cyborg): الكائن الهجين الذي يجمع بين العضوي والاصطناعي.

Manfred E. Clynes & Nathan S. Kline, «Cyborgs and Space», Astronautics, Vol. 5, No. 9, 1960, pp. 26–27, 74–76.

(2) - A Cyborg Manifesto, Donna J. Haraway، ضمن: Simians, Cyborgs, and Women, Routledge, 1991.

(٣) الهجنة - (Hybridity): الهجنة في سياق دراسات السايبورغ تشير إلى حالة تداخل بنيوي ووظيفي بين العنصر العضوي (الإنساني) والعنصر الاصطناعي (الآلي)، بحيث لا يعود أحدهما مجرد أداة للآخر، بل يدخلان في علاقة تكامل تُعيد تعريف الهوية والفاعلية. وقد استُخدم المصطلح في النقد الثقافي والاجتماعي لتفكيك الثنائيات الصلبة مثل: طبيعي / اصطناعي، جسد / آلة، إنسان / تقنية، وهو ما مهّد لتقبّل تصور السايبورغ بوصفه كيانًا «بين-بين» لا ينتمي كليًا لأي من الطرفين.

Donna J. Haraway, A Cyborg Manifesto: Science, Technology, and Socialist-Feminism in the Late Twentieth Century, in: Simians, Cyborgs, and Women, Routledge, 1991, pp. 149–150.

وانظر أيضًا للتحليل المفاهيمي للهجنة التقنية:

Andy Clark, Natural-Born Cyborgs: Minds, Technologies, and the Future of Human Intelligence, Oxford University Press, 2003, pp. 3–11.

(4) - Donna J. Haraway, Simians, Cyborgs, and Women, Routledge, 1991, pp. 163.

(5) - Homo Deus: A Brief History of Tomorrow, Yuval Noah Harari, Harvill Secker, 2016.

خلاصة المطلب:

يتبين أن (الخلود الرقمي) لا يقوم على أدوات الذكاء الاصطناعي وحدها، بل يستند إلى منظومة فكرية متكاملة: تفكيك مركزية الإنسان، وتبني مشروع تجاوز البيولوجيا، وفتح أفق التفرد التكنولوجي، وتطبيع الهجنة بين الجسد والآلة، ثم اختزال الإنسان إلى بيانات. ومن هنا سيكون الانتقال في المطلب الرابع إلى الآثار العقدية والفكرية انتقالًا طبيعيًا، لأن هذه النزعات حين تستقر لا تغيّر التقنية فقط، بل تغيّر معنى الموت والهوية والمسؤولية والجزاء.

المطلب الثالث: نقد الوعي والتعارض العقدي للخلود والآثار الإيجابية للخلود الرقمي

إذا كان (الخلود الرقمي) يُقدَّم في الخطاب التقني بوصفه حلّاً لمعضلة الموت، فإن الإشكال الحقيقي لا يبدأ من إمكاناته العلمية فحسب، بل من حمولةٍ عقديةٍ تتسلّل معه: تحويل الموت من (قدرٍ إلهي) إلى (مشكلة هندسية)، وتحويل الآخرة من (غيبٍ مُخبَر عنه) إلى (مشروعٍ بديل) تُديره الخوارزميات.(١)

ولذلك فإن التعامل معه في فضاء العلوم الإسلامية لا يصح أن يبقى عند حدود الوصف التقني، بل يلزم أن يُقرأ في أثره على التصورات الكبرى: التوحيد، والإنسان، واليوم الآخر، ومعنى الحياة والمسؤولية.

أولاً: الخلود بين خصائص الربوبية ووهم «التقنية المُخلِّصة»

الخلود بمعناه المطلق، والبقاء الذي لا يعتريه فناء، ليس قيمةً محايدة في الوعي الديني، بل هو من خصائص الربوبية التي لا يُنازع فيها أحدٌ ربَّه إلا وقع في أصل الداء العقدي: طلب ما هو لله على وجه الاستغناء أو المضاهاة. ومن هنا تأتي دقّة الإشارة القرآنية في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾(٢) إلى مدخل الإغواء الأول: وعد (شجرة الخلد) بوصفها بوابةً للترقّي خارج حدود البشرية.

وخطاب الخلود الرقمي حين يُسوِّق لنقل العقل إلى (ركيزة غير بيولوجية) هرباً من حدود الجسد، فإنه يعيد إنتاج الوعد نفسه بلغةٍ أحدث: لا تُقَدَّم الشجرة هنا، بل تُقدَّم الشريحة، ولا يُقدَّم (ملك لا يبلى) بصيغة الأسطورة، بل بصيغة (نسخة احتياطية) من الذات. وقد صرّح

(١) - يوفال نوح هراري، الإنسان الإله: تاريخ موجز للغد، ترجمة: فادي جرجس، ص ٣٧٢.
(٢) - طه: ١٢٠.

بعض منظّري (محاكاة الدماغ كاملة) بأن نجاح استنساخ أدمغة بعينها سيتيح (نسخاً احتياطية) و(خلوداً رقمياً) إذا أمكن تجاوز إشكالات الهوية الفردية. (١)

وهذا المعنى، حين يترسّخ اجتماعياً، يُنتج شكلاً من (التعلّق الوجودي) بالتقنية بوصفها مُنقذاً، فيضعف مقام التوكّل، ويُشوِّش حدود الاعتقاد في أن الآجال بيد الله، وأن الموت حقٌّ لا يستثنى منه أحد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢).

ثانياً: اختزال الإنسان إلى «معلومات» وأثره على مفهوم الروح والهوية

من أخطر ما في الخلود الرقمي أنه لا يكتفي بوعدٍ أخلاقي أو طبي، بل يبني تصوره على تعريفٍ ضمني للإنسان: الإنسان = بيانات قابلة للنسخ. وهنا يقع الخلل المفهومي؛ لأن الإنسان في الرؤية الإسلامية ليس وعياً حسابياً فقط، بل هو تركيبٌ: جسدٌ، ونفسٌ، وروحٌ، وتكليفٌ، ومسؤولية.(٣) والقرآن حين يقرر محدودية الإدراك البشري لحقيقة الروح لا يفعل ذلك ترفاً معرفياً، بل لإغلاق أبواب التوهّم في دعوى الإحاطة بالذات الإنسانية على نحوٍ يجعلها قابلةً للاحتواء الكامل داخل نظامٍ مادي(٤)؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٥).

وعليه، فحتى لو افترضنا أن التقنية استطاعت أن تحاكي السلوك، وتستنسخ الذاكرة، وتقلّد الأنماط اللغوية والانفعالية، فإن السؤال العقدي يظل قائماً: هل هذه (أنا) أم (شبيهٌ بي)؟ وهل النسخ تساوي البقاء؟ بل إن تقرير خارطة الطريق نفسه يجعل (الهوية الفردية) عقدةً مركزية قبل الحديث عن (الخلود الرقمي).(٦)

(١) - محاكاة الدماغ كاملة: خارطة طريق (Whole Brain Emulation: A Roadmap)، أندرس ساندبرغ ونيك بوستروم، تقرير تقني #٢٠٠٨ - ٣، معهد مستقبل الإنسانية، جامعة أكسفورد، ٢٠٠٨م، ص٥.

(٢) - آل عمران: ١٨٥.

(٣) - الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، ج ٢١، ص ٣٦–٣٨، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾.

(٤) - أنظر: زغلول النجار، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، دار المعرفة، ج ٤، ص ٢٢٤؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج ١٥، ص١١٢.

(٥) - الإسراء: ٨٥.

(٦) - محاكاة الدماغ كاملة: خارطة طريق، ساندبرغ وبوستروم، ٢٠٠٨م، ص٥.

ثالثاً: الإزاحة الرمزية لمفهوم الآخرة واستبدال الغيب بالمحسوس

الإيمان باليوم الآخر ليس (تفصيلاً ثانوياً) في بنية الاعتقاد، بل هو محركٌ للأخلاق والمعنى والجزاء. وخطاب الخلود الرقمي حين يُحوِّل (النجاة) إلى (استمرارية رقمية) فإنه يزاحم العقيدة من حيث لا يصرّح: يجعل الإنسان يطلب الفردوس داخل الخوادم، ويستبدل وعد الآخرة بوعد التخزين.(١)

وهنا تظهر مفارقة عميقة: أن القرآن يواجه منطق إنكار البعث بمنطقٍ يردّ الأمر إلى القدرة الإلهية ابتداءً، لا إلى إمكانات الإنسان؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(٢) فالذي يستبعد إحياء العظام وهي رميم إنما يستبعده لأنه قاس الغيب على خبرته المادية المحدودة. بينما خطاب الخلود الرقمي يذهب في الاتجاه المعاكس: يوسّع خبرته المادية ليجعلها معياراً لكل معنى، فينتهي إلى تضييق مفهوم الآخرة أو تحويله إلى استعارةٍ نفسية.(٣)

رابعاً: اختلال مفهوم التكليف والمسؤولية الأخلاقية في فرضية «النسخ»

يقوم التكليف في التصور الإسلامي على شخصٍ معيَّنٍ متعيِّن الهوية، تتوافر فيه شروط الوعي والعقل والقصد والاختيار، ثم تُناط به المسؤولية ويترتب عليه الجزاء؛ إذ لا يكون الخطاب الشرعي موجهاً إلى مجرد صورة أو أثر من الوجود، بل إلى ذاتٍ باقيةٍ هوياً ووعياً.(٤)

فالتكليف ليس نتاج صدور الأفعال، بل هو نسبة الفعل إلى فاعلٍ مختارٍ واعٍ.

من هنا، فإن افتراض «نسخة رقمية» تحاكي البنية المعرفية والوجدانية للإنسان، وتحمل ذكرياته وتتكلم بلسانه، يثير سؤالاً جوهرياً حول شرط المسؤولية:

(١) - أنظر: ديكسون، توماس، العلم والدين: تاريخ موجز للصراع المزعوم، ترجمة: حازم نهار، المركز العربي للأبحاث، ص ٢٢٥ (في تحليل أثر المادية الحديثة على المفاهيم الأخروية).

(٢) - يس: ٧٨ - ٧٩.

(٣) - أنظر: محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، دار المعارف، ص ١٨٢–١٨٣ (في مركزية الإيمان بالآخرة في بنية الأخلاق والمعنى).

(٤) - أنظر: الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج١، ص٣٢–٣٤ تحقيق: عبد العظيم الديب، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٧٩م؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، ج١، ص٧٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

هل يمكن أن تُعتبر هذه النسخة «شخصاً مكلَّفاً»؟ أم أن التكليف مرتبط حصراً بالوجود الوعي المتصل بجسدٍ وروحٍ مخصوصين؟ وإذا ارتكبت هذه النسخة فعلاً محرّماً أو ضارّاً، فهل تُنسب الجناية إليها، أم إلى الأصل الذي انبثقت منه معطياتها الذهنية؟ وهل تنتقل الذمم بالاستنساخ المعلوماتي انتقال البيانات، أم أن الذمة الشرعية لا تُتصوَّر إلا بوجود الوعي الإنساني المقصود بالخطاب؟(١)

وعليه ليست هذه الأسئلة من باب الترف الفكري، بل تمسّ جوهر العدالة الأخروية(٢) كما قرره القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(٣)، كما تمسّ معنى الشهادة على الأعمال وكتابتها: لمن تُكتب وبأي هوية يُحاسَب الإنسان، إذا تداخل الأصل والنسخة وتشابه المظهر وانفصلت الحقيقة الوجودية؟

وهذا التقاطع بين الهوية التقنية والهوية الأخلاقية يُعيد طرح سؤال استمرار الذات الذي بحثه فلاسفة العقل المعاصرون مثل ديريك بارفيت(٤) ومعاصروه في فلسفة الذكاء الاصطناعي مثل لوتشيا نو فلوريدي(٥)، في سياقات قريبة من مفهوم المسؤولية والهوية الرقمية.

خامساً: الانعكاسات النفسية والاجتماعية لفكرة «موت بلا موت»

ثمّة أثرٌ آخر لا يقل خطراً، وإن كان أكثر هدوءاً: تشويش معنى الفقد والحِداد. فالموت في التصور الديني ليس مجرد انقطاعٍ بيولوجي، بل انتقالٌ وانتهاءُ أجل، وبدايةُ حساب. أما حين يُقال للناس: (لا تحزنوا، سنعيده محادثةً وصوتاً وصورةً)، فإن ذلك يفتح باب التعلّق المرضي بالبدائل الرقمية، ويُضعف قيمة الاعتبار بالموت، ويُقلّل من صدق الاستعداد له، مع أن الشرع يوجّه الإنسان إلى التداوي والأخذ بالأسباب دون تحويل الأسباب إلى عقيدة. والحديث كما

(١) - الجويني، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، ج١، ص٣٢–٣٤.

(٢) - محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص ٩٨.

(٣) - الأنعام: ١٦٤.

(4) - Derek Parfit – Reasons and Persons, Oxford University Press, Part III, pp. 199.

حيث يناقش فكرة «الهوية الشخصية» و«الاستمرار النفسي» ويطرح سؤالاً مماثلاً: هل النسخة التي تحمل نفس الذاكرة هي نفس الشخص؟ أم أنها وجود مغاير؟

(5) - Ray Kurzweil – The Singularity is Near: When Humans Transcend Biology, Viking, 2005, p. 342

حيث يتحدث عن نقل الوعي إلى أنظمة رقمية وحفظ الشخصية عبر الذاكرة والمعلومات، ويطرح تحدّي «من هو الشخص الحقيقي بعد النسخ؟».

في سنن أبي داود عن أُسامة بن شَريك رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ». (١) وبهذا يكون الحديث شاهداً على أن الشريعة تقرّر مشروعية التداوي والأخذ بالأسباب مع إبقاء الموت وحدود الطبيعة في مكانها العقدي الصحيح، دون تحويل وسائل التداوي أو (البدائل الرقمية) إلى عقيدة أو وعدٍ بخلودٍ دنيوي أو (موت بلا موت)، وهو ما يحذّر منه النص أعلاه في سياق التشويش على معنى الفقد والاستعداد للآخرة.

سادساً: ضوابط منهجية للتناول الشرعي: التفريق بين «التقنية النافعة» و«العقيدة البديلة»

يمكن للعلوم الإسلامية أن تتعامل مع الذكاء الاصطناعي بوعيٍ مزدوج:

١. وعيٌ بالمجال النافع: تحسين الخدمات، تقليل الألم، دعم البحث العلمي، صيانة الحياة بالقدر المشروع.

٢. وعيٌ بالمجال المُتجاوز: حين يتحول الذكاء الاصطناعي إلى (لاهوتٍ جديد) أو (خلاصٍ بديل)، أو يُمنح صفاتٍ تُزاحم خصائص الربوبية.

والضابط الجامع هنا: أن نتعامل مع التقنية بوصفها سبباً من الأسباب، لا بوصفها (قدرًا جديداً) يُعيد كتابة الغيب، وأن يبقى اليقين بأن الآجال بيد الله، وأن حقيقة البعث والحساب ليست مشروعاً هندسياً، بل وعدٌ إلهي لا يبطله تقدّمٌ ولا يثبته خادمٌ ولا شريحة. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣) حيث تُعيد هاتان الآيتان مسألة الإحياء والإعادة إلى القدرة الإلهية الخالصة، لا إلى الوسائط والأدوات مهما بلغت من التعقيد، كما تقطعان وهمَ الهروب التقني من الأجل، فتؤكدان أن الموت قدرٌ محيط لا تعصمه بنيةٌ مادية ولا تحجبه هندسة، وبذلك يظل الذكاء الاصطناعي في موقع السبب المحدود لا البديل العقدي، وتبقى عقيدة البعث والحساب وعدًا إلهيًا لا يُنازع ولا يُستنسخ.

(١) - سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ح ٣٨٥٥.

(٢) - الروم: ٢٧.

(٣) - النساء: ٧٨.

خلاصة المطلب الثالث:

ينتهي التحليل إلى أن خطاب الخلود الرقمي، وإن لبس لبوس العلم، فإنه يحمل قابليةً عالية لإحداث اضطرابٍ عقدي: في التوحيد (بإيهام الاستغناء)، وفي الإنسان (باختزال الذات)، وفي اليوم الآخر (بإزاحة معنى الآخرة)، وفي الأخلاق (بغموض المسؤولية)، وفي الوعي الاجتماعي بالموت (بتعطيل الاعتبار). لذا فالمطلوب ليس رفض التقنية مطلقاً، بل تفكيك خطابها العقدي، وضبطها بمنهجٍ يَفصل بين (الاستفادة) و(الاستبدال).

الخاتمة

تشتمل علي ابرز نتائج البحث وتوصياته:

يمكن حصر نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

· إنّ (الخلود) في الخطاب المعاصر لم يعد مفردةً روحيةً محضة، بل تحوّل إلى مشروعٍ تقنيّ يبتغي إعادة تعريف النهاية البشرية عبر أدوات الذكاء الاصطناعي، وبخاصة في أطروحاتٍ ما بعد الإنسانية.

· إنّ الإغراء المركزي في سرديات الخلود الاصطناعي قائم على نقل مركز الثقل من (المعنى) إلى (الوظيفة)، ومن (الإنسان) إلى (البيانات)، حتى غدا الإنسان يُقاس بقابليته للحوسبة والنسخ.

· إنّ الفرق بين (الخلود) كما تقرره الرؤية الإسلامية وبين (الخلود) كما تتصوره اليوتوبيا التقنية هو فرقٌ في المقام والجهة: فالأول مرتبطٌ بالحكمة والاختبار والغاية كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(١)، والثاني مرتبطٌ بتأليه القدرة وتضخيم التقنية، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢).

· إنّ الادعاء بإمكان استنساخ الوعي أو (رفع العقل) يقوم غالبًا على مصادرات فلسفية (في ماهية النفس والوعي) قبل أن يكون قضيةً علميةً محسومة، لأنّ الوعي ليس (ملفًّا) يُنقل، بل هو إشكالٌ معرفيٌّ وأخلاقيٌّ معقّد. (٣)

· إنّ الاستخدام الدعائي لمفاهيم مثل (العقل الرقمي) و(الألوهية الرقمية) يُنتج انزياحًا عقديًا خطيرًا: إذ يبدّل معنى التوحيد عمليًا من الإقرار بربوبية الله إلى الإيمان بربوبية الخوارزمية، ويُلبس المخلوق لبوس (التحكم المطلق). (٤)

(١) - الملك: ٢.

(٢) - البقرة: ٢٨.

(3) - Nick Bostrom, Superintelligence, Oxford University Press, 2014, pp. 127 - 136.

(4) - Rosi Braidotti, The Posthuman, Polity Press, 2013, pp. 1 - 12.

· إنّ خطاب الخلود الاصطناعي، وإن تزيّا بثوب (التقدم)، يُفضي إلى نتائج اجتماعية وسياسية قلّما يُصرّح بها: احتكار التكنولوجيا، طبقية الحياة، وتحوّل الإنسان إلى (مُلحَق) بمنظومات الشركات والمال والمختبرات. (١)

· إنّ الموقف الإسلامي الرصين لا يقوم على رفض التقنية بإطلاق، بل على ضبطها بمقاصد الشريعة وحدودها: فلا تُستعمل أداةٌ لتقويض معنى العبودية، ولا تُتّخذ وسيلةٌ لإحياء نزعة التأليه التي عرفها التاريخ بأسماء شتى. فالإنسان في الرؤية القرآنية مكرَّمٌ بإنسانيته، لا بما يضيفه إلى ذاته من امتداداتٍ صناعية أو قدراتٍ مصطنعة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.(٢) فالتكريم هنا سابقٌ على التقنية، ومؤسَّسٌ على الخِلقة والابتلاء والاستخلاف، لا على تعظيم الأداة ولا على توسيع القدرة. وفي الوقت نفسه يضع القرآن حدّاً عقدياً صارماً يمنع انزلاق الوسائل إلى مقام المماثلة أو التأليه، فيقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣).

ويمكن حصر توصيات هذا البحث في النقاط التالية:

· ضرورة بناء (أدبيات شرعية - تقنية) عربية رصينة تُعنى بمفاهيم الذكاء الاصطناعي (البيانات، النماذج، الوعي، المحاكاة) بلغةٍ علميةٍ دقيقة، حتى لا تبقى الساحة رهينة الترجمة السريعة أو الخطاب الإعلامي.

· توسيع البحث الأصولي في قضايا: الخصوصية، الملكية المعرفية، العدالة التقنية، والوكالة البشرية بوصفها أبوابًا مستجدة تتصل مباشرة باستعمالات الذكاء الاصطناعي في حياة الناس.

· تأسيس لجان علمية مشتركة (علماء شريعة، فلاسفة عقل، مختصو حاسوب) لإنتاج معايير أخلاقية مُستمدة من المقاصد، لا تُستورد استيرادًا، ولا تُصاغ بمعزل عن الواقع التقني.

· التمييز المنهجي في الكتابات الإسلامية بين: (تحسين العلاج) و(مشروع التألي) وبين (رفع المعاناة) و(تغيير تعريف الإنسان)، لأن الخلط هنا هو الباب الأوسع للالتباس العقدي.

· توجيه الدراسات المستقبلية إلى تتبع أثر الذكاء الاصطناعي على تصورات الإنسان عن نفسه (الكرامة، المسؤولية، المصير)، لا على التطبيقات الخدمية فقط، لأنّ الخطر العقدي

(1) - National Security Commission on Artificial Intelligence (NSCAI), Final Report, 2021, pp. 11 - 15.

(٢) - الإسراء: ٧٠.

(٣) - الشورى: ١١.

يبدأ من المفهوم قبل الأداة.

· دعوة المجلات المحكمة إلى تخصيص ملفات بحثية حول: (العقيدة والتحولات التقنية) لضبط المفاهيم، وتحصين البحث العربي من النقل الانطباعي.

المصادر والمراجع

· القرآن الكريم

١. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الروح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ط ١.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ط ١، ٣٠ مجلدًا.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، عمان: دار النفائس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٤. ابن فارس، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ط ١، ٦ مجلدات.

٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، تفسير القرآن العظيم، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ط ٢، ٨ مجلدات.

٦. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ط ٣، ١٥ مجلدًا.

٧. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ط ١، ٧ مجلدات.

٨. إتنغر، روبرت سي. دبليو.: آفاق الخلود: التجميد الحافظ وأمل العودة إلى الحياة، ترجمة: أحمد حسن، دار سطور.

٩. إقبال، محمد (ت ١٣٥٧هـ)، ترجمة: عباس محمود، تجديد التفكير الديني في الإسلام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م، ط ٣.

١٠. بنروز، روجر: عقل جديد للإمبراطور: حدود العلم والوعي الإنساني، ترجمة محمد عبد الحليم ضمن سلسلة عالم المعرفة، و ترجمة سعيد الغانمي عن دار الحوار.

١١. الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، البرهان في أصول الفقه، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ط ٢، ٢ مجلدات.

١٢. دريفوس، هيوبرت: ما لا تستطيع الحواسيب فعله: نقد العقل الاصطناعي، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.

١٣. دي غراي، أوبري؛ وراي، مايكل: نهاية الشيخوخة: الاختراقات التي قد تعكس التقدم في السن، ترجمة: أحمد حسن، دار سطور وترجمة: محمد عبد الرحمن، دار سما.

١٤. ديكسون، توماس: العلم والدين: تاريخ موجز للصراع والتكامل، ترجمة: محمد عبد السلام، القاهرة: دار التنوير، ٢٠١٠م.

١٥. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط ١.

١٧. سيرل، جون: العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٦م.

١٨. سيرل، جون: العقل والوعي، ترجمة: فؤاد زكريا، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (سلسلة عالم المعرفة)، ٢٠٠٧م.

١٩. صحيفة الجارديان (The Guardian): مقابلة راي كورزويل حول الخلود الرقمي وتحميل العقول، تاريخ النشر: ٢٩ / ٦ / ٢٠٢٤م.

٢٠. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ)، شرح: ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنـاؤوط، العقيدة الطحاوية، الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ط ١.

٢١. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: بدوي طبانة، إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ط ١، ٤ مجلدات.

٢٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٣. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ط ٢، ٢٠ مجلدًا.

٢٤. كورزويل، راي: التفرّد قريب: عندما يتجاوز الإنسان بيولوجيته، ترجمة: أحمد محمود، دار العربي.

٢٥. مجلة وايرد (WIRED UK): مقتطف من كتاب Homo Deus ليوفال نوح هراري حول (الديانات التقنية / البياناتية)، تاريخ النشر: ١ / ٩ / ٢٠١٦م.

٢٦. موري، لوكا: ما بعد الإنسان: الأخلاق والفلسفة في زمن التقنية العالية، ترجمة: مصطفى المسعودي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٨م.

٢٧. النجار، زغلول: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧م.

٢٨. ندوة التفرد التكنولوجي: ترجمة مركز البحوث المستقبلية.

٢٩. نيجل، توماس: ما الذي يعنيه أن تكون خفاشًا؟، ضمن كتاب (العقل والمادة)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام.

٣٠. هراري، يوفال نوح: الإنسان الإله: تاريخ موجز للغد، ترجمة: فراس السواح، فادي جودة، فادي جرجس، فاضل جتكر، بيروت: دار الساقي، ٢٠١٨م.

٣١. ساندبرغ، آندرس؛ بوستروم، نيك، محاكاة الدماغ كاملة: خارطة طريق (Whole Brain Emulation: A Roadmap)، معهد مستقبل الإنسانية – جامعة أكسفورد (Future of Humanity Institute, University of Oxford)، أكسفورد، ٢٠٠٨م.

32. Baudrillard, Jean, Simulacra and Simulation, University of Michigan Press, 1994.

33. Berger, Peter L., The Sacred Canopy, Anchor Books, 1967.

34. Berger, Peter L., The Sacred Canopy: Elements of a Sociological Theory of Religion, Anchor Books, 1967.

35. Bostrom, Nick, «A History of Transhumanist Thought», Journal of Evolution and Technology, 14(1), 2005.

36. Bostrom, Nick, Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies, Oxford University

Press, 2014.

37. Braidotti, Rosi, The Posthuman, Polity Press, 2013.

38. Chalmers, David J., «The Singularity: A Philosophical Analysis», Journal of Consciousness Studies, 17(9–10), 2010.

39. Chalmers, David J., «The Singularity: A Philosophical Analysis», Journal of Consciousness Studies, 17(9–10), 2010.

40. Clark, Andy, Natural - Born Cyborgs: Minds, Technologies, and the Future of Human Intelligence, Oxford University Press, 2003.

41. Clynes, Manfred E. & Kline, Nathan S., «Cyborgs and Space», Astronautics, Vol. 5, No. 9, 1960.

42. de Grey, Aubrey & Rae, Michael, Ending Aging, St. Martin's Press, 2007.

43. de Grey, Aubrey & Rae, Michael, Ending Aging: The Rejuvenation Breakthroughs That Could Reverse Human Aging in Our Lifetime, St. Martin's Press, 2007.

44. Dixon, Thomas, Science and Religion: A Short History, Bloomsbury, 2016.

45. Dixon, Thomas, Science and Religion: A Very Short Introduction, Oxford University Press, 2008.

46. Dixon, Thomas: Science and Religion: A Very Short Introduction, Oxford: Oxford University Press, 2008.

47. Eliade, Mircea, The Myth of the Eternal Return, Princeton University Press, 1954.

48. Ettinger, Robert C. W., The Prospect of Immortality, Doubleday, 1964.

49. Ettinger, Robert C. W., The Prospect of Immortality, Doubleday, 1964.

50. Harari, Yuval Noah, Homo Deus, Arabic Translation, Dar Al-Saqi.

51. Harari, Yuval Noah, Homo Deus: A Brief History of Tomorrow, Harvill Secker, 2016.

52. Harari, Yuval Noah: «Dataism is our new god» (Excerpt from Homo Deus), WIRED UK, September 1, 2016.

53. Haraway, Donna J., «A Cyborg Manifesto», in Simians, Cyborgs, and Women, Routledge, 1991.

54. Haraway, Donna J., Simians, Cyborgs, and Women: The Reinvention of Nature, Routledge, 1991.

55. Haraway, Donna, «A Cyborg Manifesto», in: Simians, Cyborgs, and Women: The Reinvention of Nature, Routledge, 1991.

56. Hayles, N. Katherine, How We Became Posthuman: Virtual Bodies in Cybernetics, Literature, and Informatics, University of Chicago Press, 1999.

57. Kurzweil, Ray, The Singularity Is Near: When Humans Transcend Biology, Viking, 2005.

58. More, Max, «Transhumanism: Towards a Futurist Philosophy», 1990.

59. Mori, Luca, Posthuman: Ethics and Philosophy of High Technology, Italian original; Arabic translation, National Center for Translation.

60. Nagel, Thomas, «What Is It Like to Be a Bat?», The Philosophical Review, Vol. 83, No. 4, 1974.

61. Nagel, Thomas: «What Is It Like to Be a Bat?», The Philosophical Review, Vol. 83, No. 4, 1974, pp. 435 - 450.

62. National Security Commission on Artificial Intelligence (NSCAI), Final Report, United States, 2021.

63. National Security Commission on Artificial Intelligence (NSCAI), Final Report, 2021.

64. Parfit, Derek, Reasons and Persons, Oxford University Press, 1984.

65. Penrose, Roger, The New Mind of the Emperor, Oxford University Press, 1989.

66. Sandberg, Anders & Bostrom, Nick, Whole Brain Emulation: A Roadmap, Future of Humanity Institute, University of Oxford, 2008.

67. Searle, John R., Mind, Language and Society, Basic Books, 1998.

68. Searle, John R., The Rediscovery of the Mind, MIT Press, 1992.

69. Stanford Encyclopedia of Philosophy, «Consciousness», Stanford University.

70. Taylor, Charles, A Secular Age, Harvard University Press, 2007.

71. The Guardian: Interview with Ray Kurzweil on Digital Immortality and Mind Uploading, The Guardian, June 29, 2024.

72. Vinge, Vernor, «The Coming Technological Singularity: How to Survive in the Post-Human Era», 1993.

73. Vinge, Vernor, «The Coming Technological Singularity: How to Survive in the Post - Human Era», 1993.

74. Vinge, Vernor, «The Technological Singularity», Whole Earth Review, No. 81, 1993.